فاتن حمودي

# قهوة الكلام

شعر

أبو عبدو البغل
https://facebook.com/groups/abuab/

الكوكب
رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

مدونة أبو عبدو

S585

# قهوة الكلام

شعر

فاتن حمودي

# قهوة الكلام

شعر

الكوكب
رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

**The Coffe of Talk**

**Faten Hammoudi**

First Published in September 2015

Copyright ©**Al-Kawkab Press Services S.A.R.L.**

**An Imprint of Riad El-Rayyes Books S.A.L.**

BEIRUT — LEBANON

elrayyes@sodetel.net.lb

www.elrayyesbooks.com

ISBN: 978-9953-21-615-7

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced. stored in a retrieval system. or transmitted in any form or by any means. elctronic. mechanical. photocopying. recording. or otherwise. without prior permission in writing of the publishers.

الطبعة الأولى: أيلول (سبتمبر) ٢٠١٥

تصميم الغلاف والإخراج الفني: آرتيستو — علي الحاج حسن

لوحة الغلاف للفنان نزار صابور

## المحتويات


إهداء ..... ٩
وجوه..... ١١
شناشيل ..... ١٩
غريبان..... ٣٤
هل أخطأنا الطريق؟! ..... ٣٦
أرملة ..... ٣٩
لي فيك يا بردى ..... ٤١
قهوة الكلام..... ٤٨
إليك ..... ٥٤
متى نكبُر؟! ..... ٦٠
أصوات ليل ..... ٦٤
صهيل ..... ٦٦
عشبة النافذة ..... ٧١

مات حصاني ..... ٧٤
اللوحـــــة ..... ٧٨
غبار ..... ٨١
أعتذر ..... ٨٣
الطريق بلوى ..... ٨٧
حالات ..... ٩٣
منفى ..... ٩٩
قمصان الليل ..... ١٠١
ريشة ..... ١٠٤
مدانة بحزني أنا! ..... ١١٢

للضرورة أحلام

اركضي إذاً من طرقات الطين حتى مهبّ الرمل

وطن ناقص

ربيع أسود

اركضي نحو النص

فالحياة غيرها في مكانٍ ما

إليكما... حاء الحب الحياة الحسرة الحنين

إليكَ حسان... إليكِ أمي

«إنّ أور قد خُرِّبَت وأهلوها قد شُتِّتوا»

ABDO ABDO

# وجوه

## -1-

لوجهكَ مرآةٌ
حين غادرتَ ضاعَ
لم يبقَ سوى يَباسِ أغصانٍ
للمدينة وجوه...
مخيفٌ وجهُها صديءٌ... متجعلكٌ...
منسيٌّ في جيبِ الفصول...
فاترٌ... يتمطى من تعبٍ...
لم يعرفْني وجهُها هذه المرةَ

تبادلُني النظرَ...
باختلاسٍ
وجهٌ يتثعلبُ... يرتدي الفصولَ...

المدينةُ
تجرجرُ نفسَها
تلملمُ الضجرَ
تركضُ حاملة خفّها...
هل مرّ زلزالٌ هنا؟
مرّ عصفٌ؟
هرولتْ...
ورقةٌ على رصيفها... صرختْ
مضت مع الريح كأن لم تكن
حملُ الرجال صعبٌ... ومرٌّ حملُها...

## -2-

وجوهٌ لها
وجهُ طفلٍ بردانٍ...
يأتيني أرجوحة حقيبة ...
والدّمُ شاهدٌ

## -3-

غريبان معاً نفترشُ الحصيرَ في الخيالِ
ننحتُ الشمعَ... نذوبُ...

وجهٌ خافتٌ...
يخلعُ الغموضَ على قميص الفتنة
يقطفُ اللحظةَ
العصفَ
غريبان
غريبة أنا وللغربة نباح...

## -4-

هرمٌ وجهها
لا طريق...
قطارٌ يلوبُ
دخانُ التبغِ يرسمُكِ...
وأنت تنفثين الوجعَ مرةً تلوَ أخرى

## -5-

للوجه فصولٌ...
شيخُ الهوى وجهُكَ
يتقلبُ على كرسيه الوجعُ... أحمرُ الشفاهِ على كُمهِ مرةً
ومرةً على طرف العنق زرقة الوجع

تطولُ الحكايةُ
أعصفُ فتهتز أغصاني
أحرسُ الطرقاتِ... الطاولةَ
والكرسيَّ الأعرِج
فراشاتٌ تغيبُ
فما بالي شَجرةٌ نحيلةٌ
عيناي تشردان في الكون...
إنّهُ القمرُ ميتٌ هناك...؟!

## -6-

في سماواتِ الغفلةِ
وجهُكِ يتلفتُ
.....
على بعدِ خطواتٍ
عرفْتُكَ...
تطولُ الأغصانُ...
يغيبُ كرسيُّ العبثِ
ويا بنتُ احملي سلالَ الوجوهِ
قبل أن يملأ عينيك المطر

## -7-

صوتُ الأواني يطاردُني
رائحةُ البهارِ
ووجهُ أمّي...

أتتْ تضجُّ بالاشتعالِ...
كان وجهُها شمعةً منذورةً
يا لضفائرها الطويلةِ
تلوبُ عاريةً؟
فرساً... تنهمرُ بالجنونِ...
أرملةً تسفُّ الرملَ...
... فما بالها المرايا تتناوأ... وما بالي؟

## -8-

تتلعثمُ خطواتُ الريحِ...
تنساق إلى صخبِ الشامِ
أسوارُها العتيقةُ... تتنهدُ
فيمضي النهرُ من ربوةٍ
ينسى اسمَهُ

ينخطف البنفسجُ بالبوحِ
عند ينابيعهِ وقفْتُ أحتسي القهوةَ
عرفتَني أيُّها الغريبُ؟!
عرفْتَ قُبلتي ونارَ الحطبِ
ما عرفتني.....!

كان النهرُ يضحكُ
شهياً دافئاً... كانَ الثلجُ في أعالي الجبالِ
مشينا غيرَ مكترثين بالشجرِ يفتحُ عُريَه لنا
الشغفُ يمضي عالياً
المقهى والرحلةَ... والسائقَ الذي يختلسُ من المرآة
قريبةٌ منكَ
وحينَ غادرْتَ
كانت أناملُ الريحِ تأخذُ الشغفَ والعناقاتِ
وتمضي...

## -9-

للنهرِ وجوهٌ
وجهُ طفلٍ يستعجلُ الخطواتِ...
يكلّمُ نفسَهُ كالمجذوبِ...

سوسنُ الفتنةِ... أنا... نعنعاعُ الرغبةِ
أنادي المرايا وتلك الضفةَ المشتهاة
أنادي...

مثل مجاذيب الحي... يركض الأولاد حولي...
أنساقُ... ولا أدري

## -10-

للوجهِ فصولٌ
تغيرتِ العصافيرُ واللونُ...
مضتِ اللوحةُ تبحثُ عن أشجارها
النهرُ يضحكُ
يتمطى عند غصنِ العناقِ...
شهياً كان النهرُ
وذاكَ المقعد البردان في أعالي الجبال
كان الثلجُ يترنحُ عاشقاً...
الشجرُ قمصانُ الفيءِ
وأنا العصافيرُ تغلي

الشتاءُ يأتي
أمشّطُ العشبَ...

أُحصي أماكنَ الوجعِ

أتكفي سنونوةٌ لقدومِ الربيعِ؟

للوجهِ فصولٌ...
أنجبتني أمّي ذاتَ ربيعٍ
حمّلتني تيجانَ الزهرِ
ريشةَ الضوءِ
بسمةَ الغزلانِ الشاردة
جنونَ العاصفة
وها أنا أمرُّ بجمر السؤال...

يمرُّ الربيعُ بلا ربيعٍ
يقطفُ بَوحي: تُحبني... لا تُحبني... تحبني لا...
مثلَ مجاذيبِ الحيِّ أركضُ...
تهلوسُ الجدرانُ:
مجنونٌ...
أنتَ مجنونٌ

# شناشيل

## -1-

مثل نبعِ ماءٍ
أنحدرُ إليكَ
انحدرُ صعباً
أضمُّك لتشرَبَني ونَحيا

## -2-

حُلمي أَطلقَ سِراجي
لكنّ أخوتي شردتهم الحروبُ
أُمّي لم تَعُد في البيت
وبيتي لمْ يَعُد بيتي
وحدها الضفادعُ تَشدو
فَمَنْ يَحرسُ الغياب؟

## -3-

هي نهاراتٌ أخرى
هي ليالٍ لا اسم لها
ليالٍ
بقمرٍ مُدَمَّى
وغربانٍ تَحُومُ... وتحومُ
موتى لا قبورَ لهم
مثلَ ليلِ الشام
ونهاراتها
مثل صوتِ أُمّي مُمَرَّغاً بالغياب

## -4-

سيدةُ الحكمة يقولون عني... ولا يدرونَ جنوني
أنا العاصفةُ
الريحُ
الهباء
نسيتُ
ملامحَ وجهي...

## -5-

قطرةٌ باردةٌ
من نبع بعيد
ضربَتْ عُمريَ الخامدَ الرتيب
ندفةٌ من ثلجٍ أصابت قلبي فشدت الأعمارَ والفصول...
أزاحت الصحراءَ والغبارَ
أنا وجهُ العبث والجنون
ألعبُ على الوقت...
عليكَ أيها الغارق في النوم...
أخرجُ كنوزي من خرزٍ عميقٍ وأقفالٍ لم تُفتح
أطلقُ شالي في الريح
عطري لك
تهتزُّ تتبعثرُ...
لقد أصابتك سهامي
أيُّ نهر لنرتمي؟
أي بحيرة تخمدُ ما أصابنا؟
أين سيداتُ الحكمةِ يقرأن التعاويذ!
أين صبيات المعابد يرقصن بالنار؟
كيف أداري هذا الغبار؟
ولأنني امرأةٌ أستدرجُ الريحَ تحركُ ستائري

أنا الفاتنةُ... الخيبةُ
أترك نكهتي في الزوايا
نداءَ كهان
... وأنا الوهم على فم المغني.

## -6-

أنا شجرةُ النارنجِ
في حديقةٍ شاميةٍ
قُل لي... كيف أنأى بمرارتي عنك
زهوري... تملأ الكون

## -7-

أنتَ المتشرِّبُ طباعَ الصقرِ
لا أزالُ حزينةً
أعانقكَ بصهيلِ الوجعِ
فيموتُ قلبي فيك

## -8-

ما زلتُ على نافذتي أخبِّئُ لك وردةً من ضوء
ما زلتُ أجلسُ على نهرِ الغصة

أرقبُ ليلاً بلا قمر
أمشي نحو غزالي الأسمر
فيزغُ الوقتُ مثل توتٍ وعوسج...

## -9-

كلماتُكَ هطلتْ على أغصاني
امتدتْ أصابعُ التيهِ
تناسلَ الكلامُ المباحُ مع المدى
تصافحتِ الأوراقُ...
لنافذةٍ تحرسُها سماءٌ حمراءُ... أخذتني
تركتُ البحرَ يرسمني وَكراً لآخر قمر
مضينا نكسرُ الأفقَ والغناءَ في أزقةٍ دافئةٍ
ومِنْ طرفِ المدينةِ إلى صُبحها
شربنا الندى... حتى وقعنا في الفخ.

## -10-

ابتعدَتْ كلماتُكَ فتلبدتْ روحي
العتمةُ تسللتْ بين أوراقي كانفأسِ
أبي قبل أن تدهسَهُ حافلةٌ وتمضي

لكنّ الرياحَ لا تنسى أبداً...
فصوتُكَ في كلِّ مكان...

## -11-

تقطعُ أغصانَ الفيءِ فيتصاعدُ خفقانُ أسئلتكَ
خوفي مِنكَ يملؤني
حطابٌ مجنونٌ أنتَ
طريقُ القطيعةِ بيننا... لا محالة

## -12-

فتحتُ أيامي وهربتُ منكَ
أغلقتُ المسامَّ وثنايا الأبوابِ
أغلقتُ قلبي ومشيت...
فمن يهشُّ عن نافذتكَ الملل
اغتامتْ روحي... أرعدَتْ فأجْهَشْتُ
قُلْتُ: إنَّهُ المطرُ
وقلتُ ستجمعنا مظلةٌ
رفعتُ حروفَكَ...
وفي غرفةٍ بعيدةٍ أقصيتُ نهري
لم يكن ذاك الشتاءُ معتماً
لولا مظلةٌ منسيةٌ هناك

## -13-

اتركني لأحزاني
لموسيقى البحر
افتحْ بابَ القطيعةِ... وامضِ
لن تأتي نوافذَكَ الأقمارُ
فمنْ يمسحُ عنكَ الغبار

## -14-

إلى الغابةِ أخذتني
مرةً على شكلِ لبوةٍ
ومرةً مهرةً
ومرة ومرة
سُرعان ما عُدتُ غزالة الركض
بينما تركتكَ في حروفكَ تبكي

## -15-

البحرُ الذي همتُ به
أخذني بكلِّ أمواجِهِ
عصفَ عانقَ حنا
فصدّقتُه وقاسمتُه وهم الحقول

## -16-

الغزالُ الذي رأيتُهُ
أخذتْهُ بكلِّ اللونِ
والبوحِ
والضوءِ
وسرعانَ
ما تركتُه مدينةَ رملٍ

## -17-

هذا الشتاءُ ملائمٌ لحُزني
التفتُّ
أتعثرُ بظلالِ العطشِ
أسدلُ الستارةَ وأفتحُ بابَ حيرَتي مدىً

## -18-

معكَ أردتُ ان أبللَ أغصاني
وأرى الشامَ من بعيد
خفقانُ أسئِلتِكَ طائري
نمتُ غير مكترثةٍ بالحنينِ الذي تناثرَ في الغرفِ

كم يلزمني من العواصفِ لأضمّكَ كلمةً كلمة
أزهرتْ أغصاني
فاشتعلتْ حروفُكَ بي

## -19-

من نقطةٍ في السديمِ جاءَني نصُّك
مدّ لسانه وكلّمني طويلاً
أنت حبيبتي: قال
أنت الشامُ وبردى الذي كان

أنت...
سأدعوكِ إلى فنجانِ قهوةٍ...
لم ألتفتْ... مشيتُ... فامتدَّ الحزنُ شجرةً في قلبي

## -20-

قبل أن أمحو صورتَك
شربتُ كأسَ نبيذٍ
سحبتُ رائحتي
من أصابعِكَ وأنا
أمزقُ الورقَ

## -21-

لحُزْنِكَ أشعلُ الكلامَ
وأفتحُ أزرارَ المدى لتبكي
ألملمُ دموعَكَ فتفيضُ الجرارُ
أكلُّ هذا الحزن لي؟!

## -22-

حينَ تختفي ملامحُكَ
وتبتعدُ رائحتُك
تتثاءبُ جدراني
حينَ كلماتُك ليست لي
سأفتحُ كفي وأنفخُ سربَ الكلام

## -23-

حاول
أن ترسلَ رسالةً
أو تفتحَ عصافيرَ قلبِك لي
فكّرْ فقط أنني أشتاقُ إليكَ
وأني كسرتُ هاتفي ألفَ مرةٍ

حدَّ الرمقِ الأخير

## -24-

حين أنا لستُ حبيبتَكَ
لماذا عانقْتَني...
وشددتَ عطرَ أناملي
حين لم تَتسعْ كلماتُك لي
أكتملتْ مرارةُ الفصول

## -25-

كأنني داخلَ الحُلمِ
أظلّلهُ بشَعري
كأنَّهُ خارجَ الحلمِ
يعصفُ بأوراقي
فأسقيهِ ماءَ البحرِ بكفي
وأختفي

## -26-

شخيرُ ليلٍ طويل ومخدةٌ باردة
وحده حبلُ الغسيلِ يهتزُّ كخيول مجنونة

ووحده الغياب يقف بيننا

## -27-

منذ متى بدأتُ أنام على الطرف الأقصى من السرير؟
منذ متى أخذ جسدي يتأقلم مع الغياب؟
أحتضن وسادة وأضمها إلى صدري
منذ متى انطفأت نجمةُ غرفتي؟

## -28-

وحدها القبعة في زاوية خزانتي، تفكر بكل هذا الجليد
الطقس دائم التقلب
وشمس قلبي تموت

## -29-

مثل شمعةٍ ذابَ عمرُها
أمسكُ حصانَ القلقِ
فتنكسر آنية فخار في زاوية الذاكرة
القمرُ يختفي
عالمٌ أعمى
وطنٌ غريب... لقد تبدل حالي

## -30-

النهر الذي يخفي نفسه تحت الحفيف
لا يبكي
يضربُ رأسَهُ بالصخورِ
يرسمُ طريقاً
...النهرُ يتابعُ مجراه
في أي اتجاهٍ يسيرُ يبدو أنَّه لا يعرف

## -31-

بين ملح البحر وملح دموعي
أقيم حواراً طويلاً
تاريخيَ لحظتان: واحدة معك... ولحظات أخرى متشابهة
ما أطولَ يُتمي
اسألْ قصيدتي
تُسِرُّ لكَ كلّ ما لم أستطع أن أبوحَ به

## -32-

إنها تمطر
ولا أدري هل أفكرُ بكَ

أم بتشققات روحي
ولأنني لا أنسى ورودَكَ
أشعرُ بأننا لن نلتقي
وأنّكَ مثلُ قصيدةٍ عصيةٍ
تشغلُني ولا تأتي
أتوقُ إليك فأتفقدُ أخبارَك في الصُّحفِ
رائحتنُا تخزُ قلبي
فأكتبُ لك غيمَتي
لو مطرٌ على أزقتي
والجبال
لو مطر...

## -33-

كلّ شيء موحش
لا تفتحي نافذة الليل فيلسعك غيابه
وتلسعك الوحدة
لا تفتحي النافذة على ليل دمشق
... الليل يواري وجهه من نجوم غابت وقمر يسيل دماً
الليل غريب عن ليله
لا صحو ولا خمرة... ولا أنت حبيبي

لا امرأة عارية في اللوحة... ولا جدار
وأصرخ في البرية... أمي
ضاقت بي أرض الله
وضاقت نافذتي وأنا برداااانة...

# غريبان

لا اسم لي... رغم كلِّ هذهِ الفتنة
لا اسم لي
لا أملكُ الرسائلَ... ولا ألبوماتِ الصّورِ
لا شيءَ لي...
أُمرّرُ الأيامَ مثلَ عقربِ ساعةٍ يراوحُ مكانَهُ
شاشاتٌ ملطّخةٌ بالدم
كوابيسُ... وقطاراتٌ محشوةٌ بالموت
ولأنني بعيدةٌ عنكِ شام
أعدو ككلبٍ سائبٍ... وأمضي
أضعُ يدي بيدكَ أيُّها الغريب...
نمشي معاً تحتَ المطرِ
نقطفُ ثمارَ العبثِ

نشعلُ الشموعَ... فتضاءُ الأمكنةُ وتقترب
تقتربُ...
يا شام... يا شام... أنا بدون أصواتِك... أغنياتك... حمائمِك...
أزقتِك... ياسمينِك... لستُ
غير كلبٍ لاهثٍ يعضُّ قمصانَ الغياب...
...
قل... كيفَ جئتَ أيها الغريب؟
غريبةٌ أنا
أحمل في خُرجِ أيامي الغبارَ وحصى الطرقاتِ...
قلْ لي... كيف نلوّن الرماد بالشغف؟
نُبَهِرُ العقلَ بالجنونِ... الفوضى بالرتابة... القلقَ بالهدأة... ونخرج
بالتمرد حتى المستحيل
دعْكَ من حريةٍ مغزولةٍ بالموت... تعالَ فكُل ما عدانا جحيم...
تعال
لن نُلوِّثَ أناملَ الشّغفِ بالخراب...
طبولُ الحربِ تُقرعُ...
تعالَ...أدِرْ ظَهْرَكَ... أدِرْ ظهرَك لهذا الغبار...
تعالَ... أيُّها الغريب

# هل أخطأنا الطريق؟!

عازف الناي حزين مثلي
... أنا التائهةُ
لا أعثُر على طريقي
ويبكي على ضفةِ البعيد قمري
ماذا لو زخّ المطرُ
ماذا لو أنت معي حبيبي؟
أترى هذا الطوفان؟!
أترى هذا الخراب؟!
الريح تعوي
في القرى الخاوية
عاصفة على الأبواب
لو يأتي الحب

لأمشطَ شعري وأقود الخيالَ إلى المرايا
يا قمري الباهت
يا قمري المُغبر
فراغ ليل طويل
قطيع كلاب ونباح
لو مطر يزخُّ... لو نسمة...
أنا الحصى التعبان
تعال حبيبي
التقطْ لي صورةً تذكاريةً
كي أُهدهدَ الريحَ
إنَّها الحربُ حبيبي
وكقارِبِ محطمٍ يجثمُ هذا الربيع الرماد
هل أخطأنا الطريقَ إلى دمشق
يا آلهة الأرض في العشر الثاني من الألفية الثانية
هل أخطأنا العبور؟
هل أخطأنا الوصول
حبيبي؟
كرزي شامي
من يمضي بنظرتكَ الممزقة إلى غد المرايا؟
ضاقَ بنا الوقتُ وضقنا

ضاقَ بنا البردُ
ضاقتْ بنا الأرضُ
وها أنا أحضّر السلال
لو مطر يزخ
موتى في القطار يطلون من النوافذ ملوحين بالوداع
غربانٌ على المدينة
فعلى أي هامشٍ نقفُ
وعلى أيِّ قبرٍ نرثي ما بقيَ من غناء
انا المبهورُ بالركضِ
من أوَّلِ الدهشةِ
وأنت معي وقربي أيها البعيد ترسل عصفَ روحك
تقف مبهوراً بالمشهدِ... هنا نساء بلا رب
وها أنا أركض منذ سكة الله
أتلمسُ دربي
يا أبي شرختني العزلةُ
يا أبي...

# أرملة

وحده الهاتف يرن بأغنية... إذا
لم يَمُتْ صاحبُهُ... ولمْ تتوقفْ رسائلُ حبيبتهِ
أنا القيامةُ... بدءُ الأشياءِ ونهاياتُها
تقولُ البلادُ... المستذئبُ يعوي
ينطحُ الليلَ
فيسقطُ القمرُ
وتسقطُ مفاتيحُ الحِكايةِ
المدينةُ تلمُّ الرِّيحَ
تُدَحْرِجُ الصَّخْرَةَ
وراء الأبواب
كي توقفَ كلَّ هذا الخراب
هي ليالٍ لا اسم لها

ونهارات
الريحُ تسفُّ رمالَها في العيونِ
والعابرونَ يشربونَ الشَّاي
يَرْوون الحكاياتِ
فَصدّقْ ترى قميصَ الليلِ ينتفضُ
يفكُّ عروةَ أرْمَلَةٍ... ويغيب
لماذا كلما ضربتُ الصخرَ بقدميَّ
وحاولت الوصول إلى الصباح
يسيلُ الدمُ من جداولي؟

## لي فيك يا بردى

### -1-

ليس للعين إلا أن تتابعَ خطوات الريح
وجهُ الشام يدفعني إلى البكاء
هل كان عليها أن تشيخ كي تنسى؟

### -2-

أربعون سنة وأنتَ تركضُ
منفيّاً من إشراقةِ قمر
كلما وضعتُ رأسي
على ضفةِ السؤالِ... تراءى لي السراب...
أيّها النهرُ
في هذا الصباح

كنتَ تُرتِقُ عشبَ الطفولة
وتتطّلعُ عالياً نحو الجبال...
تغرف شقاوتنا وعبثَ طفولتنا
تاركاً خلفَ ظهرِكَ عصافيرَ الظمأ
فيما كنا نحملُ حقائبنا... ونمضي...
نشمُّ الغربةَ رملاً... نتحسسُ المدنَ... ملحاً
وأنتَ بالخيبةِ تُغادر

## -3-

على طاولاتِ الانتظارِ جَفَّتْ ينابيعُنا
كنّا ننشرُ أيامنا على حبالِ الغسيلِ
نرسلُ رسائلنا
أول تفتحاتِنا...
وتتركنا في منتصفِ البئرِ... وتمضي؟!

## -4-

هَكذا نحن أبداً
نمضي إلى مقاعدِ الدراسةِ مبكرين
ومبكرين نمضي إلى الحب
أيها النهرُ الذي رميتُ به مركبي
عندكَ يبدأ البرقُ

وعندك تماماً يتوقفُ النسيان
هناك في الطفولة دعوتك
خذ مركبي بعيداً بعيداً
بعيداً...

كم يشبهك جنونُ عاصفتي
النابحُ ككلبٍ في غيابك

في قِمَّةِ الفقدِ
أقفُ وأنتظرُ قمري على قارعةِ قصيدةٍ
وأظلُّ... أظلُّ... أظلُّ ليلي أنتظرُ
عاصفٌ وجهُ الخراب...
عشاقٌ يبتعدون...
وفراشاتُ القلب أيضاً
وأنتَ بالخيبة تغادر؟!
إلى دروبك السبعةِ عُدْ
أُحْرُسْنا مِنْ صحراءِ الوقتِ... اغسِلْ غبارَ أرواحنا
وحده عباد الشمس ينحني
ووحدي... أركض... وراء الوهم
...
منْ يعرف وجهَك يصهلْ للعاصفةِ

ويمدَّ مخالبه بوجه الريح
من غرّبك؟!
من ساقك؟
من أنساك مركبي وطفولتي؟!
من بعثر كلَّ هذهِ الظلالِ
وتركك في غفلةٍ تمضي؟

ذاتَ صباحٍ كانَ لوجهِ النهرِ عصافيرُ وقصائدُ
وانتشر الخراب...
غادرْنا... ولم تُغادرْ
سأضفرُ تاج الأيامِ وأضَعُه جانباً
أمضي لأيامي القادمةِ
هُناك... هناك يقف الرجلُ وحيداً... والمرأةُ أيضاً
يقفُ الطفلُ غريباً عن ملامحِه
تقفُ الأمُّ وقدْ غادرها الجميع
وحدها المدينةُ تهذي...

بردٌ عاصف بالحنين
أيّتها المدينة... أيّتها المدينةُ
من يوقظُ الجُّوري؟! من يَسقي عطشَ الصبايا
من؟!

على آذانِ الصبح
تتلفتُ الشامُ
تدخلُ في ضباب الأغنية
تسترجع الصورةَ والرائحةَ... صوتَ الخطوات...
تسترجع ما حفظناه مبكرين
«لي فيك يا بردى عهدٌ أعيش به»
تفركُ الشامُ... يدا بيدٍ... وتمضي بلا نهرها... تمضي...

وحيدةٌ أنا
يحاصرني صوتُ قطارٍ
على ضفاف نهرٍ كان
من يسقي وردَ الشبابيك؟!
وحده العنب
ووحدها الشام تلتقط أنفاسها... وتصعد السّلمَ درجةً درجةً
يعربدُ النهرُ ويدخلُ في كآبةٍ
شهوةُ الشرِّ تأكلُ قلبَ المدينة
العاصفة تمضي مختالةً

ووحدي أدور على كعبي زوبعةً
ثمّةَ وجوه
ثمّة شيبٌ واحتراقْ

ثمة حزنٌ وأيامٌ
كيف تشكل كلُّ هذا الكسوف؟!
طريق...
غصة...
وصحراءُ تمدُّ أصابعها
ندخلُ لعبةَ الطرقات مبكرين
ومبكرين ندخل حواف الجنون
عنبٌ... عنبٌ وعنب وأدورُ على كعبي زوبعةً

من يلمُّنا؟!
الذاكرة مرتجفةٌ بردانةٌ...فمن يشعل الحطب؟
أرتدي الشتاتَ
يرتديني قميصُ الحضورِ
تحاصرني العاصفةُ
فأترنحُ بين طرقاتِ النخلِ
أدخلُ العواصمَ والمدنَ
أرسمُ نهراً في الرملِ
أرسمُ صفصافاً
أتزوبعُ
فتغيبُ الأبعادُ

لم يَعُدْ مركبٌ ولا ياسمين
لم يعدْ نهرٌ يتذكرُ مجراه
أدورُ على كعبي
أرتدي قميصَ الغيابِ
كنت منكسراً
وأغني...
لي فيك يا بردى...لي فيك يا بردى
يااااااااااااااااا بردى

# قهوة الكلام

غادرتُ كلماتِكَ والمطرُ يهطلُ
غادرتُ كلماتِكَ والعناقُ ينهضُ فرساً
يجمحُ يصهلُ ويدورُ على كعبهِ
ماذا لو دبتِ الرغبةُ في قهوةِ الصباحِ فوجدتَنا معاً
ننزلقُ في الحلمِ
وندركُ أنها لعبةُ
الطفولةِ المتبقيةِ فينا
مسربٌ إلى العنبِ حديثُنا
كلماتٌ تسري في يدي وكُلّي
ألتقطُ بعضَ أشلائي
أراكَ طائرةً ورقيةً في سمائي
أمضي نحو ألفِ مهبٍّ
ونمضي معاً في الزوبعةِ

تدورُ الكأسُ تخبطُ الأرضَ وتجنُّ
نرفو ساعاتٍ من الخرابِ
نومضُ بالبرقِ
نرتعش بالرّعد..
طويلاً كان انتظارنا
أصابعُنا تلك سالَ منها الدمعُ إلى راحتينا

******

كيف يمضي برقُ الكلماتِ ومطرُها الهاطلُ
لا أدري حزني... ولا جواباً للعصف أدري
يقولون تسرقين الضوء وتختفين
ولا يعرفون أن يومي
يغادر دون أن يتركَ أثراً
تغادرُ الأيامُ
تغادرُ السنواتُ
ورغم ذلك لا أدري
سوى أنّ المطرَ يسيل من أغصان روحي
ماذا لو جمعَنا ذاتَ صباحٍ فنجانُ قهوةٍ؟
أو كرسيٌّ على رصيفٍ؟
ماذا لو جمعتنا حروفُ النبيذِ؟

غرباءُ بلونِ القهوةِ
نفتشُ عن كلماتِ
كلماتٍ في مهبِّ الجنونِ
تمضي بأصواتٍ وخطا
وأنفاسٍ
تمشي في العروقِ
فيهذي صمتي وأدور حول نفسي

*******

موجٌ يأخذني
تستيقظُ الكلماتُ «يا كل أهلي»
تستيقظُ النداءاتُ
مرة «ليدا» ومرة «القطة المستوحشة»
«مرة يا عدوة دمي ومرةً يا صديقة دمي»
...
لا تطلقِ الأسئلةَ
مثل رمل الصحارى
أعمارنا مكوّمةٌ في سلالِ الغسيلِ
يا امرأة القهوةِ دعي البحر
يمشّطُ الأحلامَ

يغسلُ الروحِ
دعي البحرَ يشمّ قهوتك
ودعي فيروز تغني
خذيه إلى حضنك مشّطي شعرَهُ ضفائراً
واشكلي خرزاً
أنا امرأة العصفِ
أنجبتُ طفلةَ البساتينِ واللونِ وطفلةَ الغجرِ
أنجبتُ غزالين شاردين
أنا الشجرةُ الهاربةُ من فيئها
من أغصانها

مشغولةٌ بالعواصفِ الطارئةِ والأحلامِ العابرةِ
أناملي أتعبها الانتظار
ومطري البعيد ينهمر في الزواريب
مطري البعيدُ
شاعر يمدُّ يده لنجمته ليدا
أنا الهاربة أبداً
أرتحل في حروف إلحاحِكَ
أتعثرُ بعزلةٍ تمدُّ مخالبَها
أسقيك فنجانَ قهوةٍ على عجل فتسكرُ الكلماتُ

أكتبُ أحوالَ الحرفِ وأهربُ
أسألُ الصمتَ وشباكَ العنكبوتِ
فتنزلقُ الكلماتُ من أطرافِ الأناملِ
تنزلقُ نحو المحوِ
المحوُ العذبُ
أنزلقُ أكثرَ
ويمضي الكلامُ...
حروف تأتي من الشامِ
تتناسلُ وجعاً لذيذاً
فتضاءُ عيناي من أولِ اللسعِ
أولِ الحرف
أولِ الصوت والرائحة
أولِ البرقِ
والعصفِ
لهذا تنهنهت بالمطر...

ماذا لو دبتِ الرغبةُ في قهوةِ الصباحِ فوجدتنا معاً
ننزلقُ في الوهمِ
وندركُ أنها لعبةُ الطفولةِ المتبقيةِ فينا...
وهمي لذيذ

غصنٌ أجوفٌ أنا
كلماتُك تطلعُ مني الموسيقا
فأنصِتْ إلى أنوثتي واعبرْ سمائي
عصافيرُك على أطرافِ أغصاني وأناملِ يدي
كلماتك تسري كأنها النبيذ أو كأنني من سلالة العنب
يدور المكانُ
تقتربُ الشامُ ويقتربُ صوتُ المطرِ
مظلةٌ وعاشقان مبللان
أجهشا بالرعد
مضيا نحو كلماتٍ تشعلُ الشموع
لظلالٍ تمشي مع الريح
هناك حيث لا أنا ولا أنت ولا نحنُ
هناكَ تمضي ظلالُ الكلماتِ
وحيدةً بردانةً حيث
لا مظلة ولا شتاء

**أبو ظبي**

## إليك

ها أنا أبعثرُ أشياءَكَ الصغيرة
ولن أسترسلَ في الحلم
شغفُك يهذي على الأسطح والأزقة
يعرّشُ على الشبابيك
يدخلُ إلى حوافِّ السرير
فتبكي الوسائدُ شموعاً تفزعها الريح

عرفتُك بحراً يلوبُ عن نهرٍ يخففُ عنهُ ملوحةَ الريق
عرفْتَ أنهاريَ وشجرةَ التوتِ الشاميّ
وما عرفتني...
يشدني موجُك
فأغلقُ شباكَ الكلماتِ
أسقطُ سهواً

أتعثرُ
فيأخذني الارتباكُ خلفَ سهولٍ بعيدةٍ

يتناوأ الزيتونُ
يتناثرُ عسلُ التينِ
فيعلقُ الدبقُ وأعلقُ
يمرّر الموجُ أصابعَهُ في خصلاتِ شعري
فأضمُّه صعباً
أشدُّ شعرَه فيصرخ أنت امرأتي
أفردُ لرملهِ الأناملَ
أضفرُ شعري

تعالي...
حدثيني كلاماً
عارياً
حقيقياً
كوني
.....
.....!
ملحي... وحلاوةَ الأنهار
كوني حقيقيةً

أنتِ بجسدك البهي
أو أحسرُ موجي وأغلقُ شطآني
كوني...
ولم أكن سواي... شددته بكل حلاوات الدبق
شددتُ أغصانه وقلتُ قبلتكَ مالحة وصعبة
أظنكَ بئراً عتيقاً
تفتحُ عينيك على سيقان الغزالاتِ

تلوبُ... دهشةً إثر دهشة
تلوبُ كبحارٍ جائعٍ...
تفردُ كلماتك في شهوة الريح
تندهُ الحلاواتِ

كأن لم تطأ مياهُك أرصفةَ المدنِ
ولا أقدامُك
ولا أنفاسكَ
تشمّ الياسمينَ وتخلعُ عليه حروفك

أنأى... أختفي... أغلق النوافذ
أعرفُ أنني مغمسةٌ بالملح
مجنونةٌ أنت... كوني... حقيقيةً عاريةً...

أفردي لغتكِ... سمّي الأشياءَ بأسمائها
أتعثرُ في الكلام كأن لساني وأناملي مربوطان
يصرخُ... كوني
سأحسرُ موجي
كوني
أتقلبُ على جمر الكلام... أعتصرُ... وأهيمُ بخجلي في البلاد
أوشوشكَ... فافهمْ باقي الكلام
بصمتِ العاصفةِ أخطو...

أنشبُ أظافري في موجِكَ
بكلِ أنوثةِ الموسيقى أنشبُ ذئابي
وأدير ظهري قبل أن ينحسرَ موجُك
أيها البحارالعتيق الطافح بالعرقِ
وأرصفةِ الشواطئ والبلاد
المخنوق في قارب هرم...
تجذّفُ في كلِّ الجهات...
تفتحُ شطآنك على الريحِ
تصرخُ... ولا شيء سوى بردك
اسكبْ كأسَ نبيذٍ قبلَ أن يأكلَ جسدَكَ البردُ
تتلفتْ بكلِ مهاري العشقِ...

من أنتَ..؟

.....؟

حين أديرُ ظهري

يستدرجني الصوتُ والرائحةُ

تأكلني عواصفُ التيه... تأكل أوراقي وحبري...

أشعلْ أناملي وتدفأ

قبل أن تأخذك خيامُ الصقيعِ لتلك ال «ليلى»

أَمضي عنكَ

يعلو صريرُ الأبوابِ

لكلماتكَ جرحُ الشطآن

أمدُّ قدمي بمائك

أسهو عن الوهمِ ينفرطُ الخرزُ

فيشتعل شغفُ الحنين

ولا أَمَلُّ

أبللُ كفيّ وأمسحُ حبرك

بعيداً ينحسر الموج

فتضيء أناملُ الحنين وجَعي

تبرقُ ترعدُ

ولا تمطر

تلوب الشموعُ والقواربُ... تلوبُ

مَنْ أنتَ أيها الغريب!؟
ومن أنتِ أيتها المرأة!؟
تنبشين أظافرك في الريح فتخاصرين الغيم
وحين تصحين من رعشة الكلام
ينحسرُ الموج من أوّل المدّ
فأغيبُ في غصص السفرجل
أنحسرْ أيها...!
لا تنحسر... التفت...
بحلاوة النهر اغتسلْ
دعني
أتسعُ فيك... كي أكمل الشجن

# متى نكبُر؟!

غداً حينَ يفوحُ الياسمين
ويتوارى وجهُك بعيداً
ساستعيدُك من الأسطوانةِ
كلُّ شيءٍ مُسَجَّلٌ وعَبِقْ
سأُعتِّقُ الذكرياتِ في الخوابي
فوقَ أقراصِ الديجيتال
وموسيقى القمرِ في ليل
وأشكلُ لكَ الصورةَ التي أُريد
سنواتٌ على أغصانِ اللهفةِ والصوتِ
في الأزقةِ...
وعندَ زوايا لُعْبَةِ العنب...
سنقولُ بجنونِ الطفولةِ: متى نكبر
لا المراجيحُ... ولا الأحلامُ

لا الكتبُ ولا المرايا
وحدها ليلى تلعبُ... ووحدَكَ تتلصصُ على ضفيرةِ الضَّوءِ
ونقولُ متى نكبر؟!

في ليالي الشتاءِ الطويلةِ
في جيوبِ الشهوةِ والخوفِ والرّياحِ
وفي تقصفاتِ الروحِ
وأنين المفاصلِ والشّجرِ
في ضبابِ الصباحِ البردان
نسألُ عن ذاكَ السطحِ البعيد
مُحملينَ بارتعاشةِ الدّفءِ
والبخارِ يخرجُ من أفواهنا
سأستعيدُ صوتَكَ أبي
وأستعيدُ غيومَ عينيك أُمّي
وضوءَ الأحلامِ في الدربِ
يومَ مضيْتُ أقطفُ الغيمَ
ويا ليلى... لا تمضي من الدرب الطويل

مضت ليلى...

... وها أنا أنصبُ قوساً منَ الحنينِ

مِنْ طَرَفِ الأرضِ إلى قلبي
ألتفتُ إلى عُشبِ روحِكِ...
أتلمسُ الدَّربَ...
حضنَ الطَّيشِ... متى نكبر؟؟؟
ذاهبةٌ بالأحلامِ
والغناءِ
وتقصُّفِ الكستناءِ
سأستعيدُكِ من الأسطوانةِ... والرائحةِ...
من شوكِ السؤالِ... وريقِ الخمرِ
أشربُ العصفَ...
أكزُّ على شفةِ الجمرِ...
متى نكبر...؟!
وأنا ببعض الدُّمى... أسمعُ غناءَكِ أمّي
يغيبُ صوتُ أبي... وتغيبُ الفصولُ

ساستعيدُكِ أزِقَّةَ الطَّيشِ
يومَ أخذَنا العناقُ منَ البردِ
ولفَّتنا شراشفُ الغيمِ...
يا صباحاتِ الضبابِ... يا قراءةً أخرى لروحٍ أثقلها الخواءُ
عدمٌ في الحياةِ في العادةِ في الأيامِ

في العلاقةِ... وفي كُلِّ شيءٍ
الأيامُ طينُ الأحذيةِ... والأرواحُ غبارُ البلادةِ الثقيل
غبارُ صحراءٍ...
غبارُ كوكبٍ
غبارُ نجمٍ ومجرةٍ
وفراشةُ الروحِ محبوسة في قفص
أغصانٌ في كلِّ شيءٍ... ولكُلِّ شيءٍ...
للدهشاتِ... للحريةِ والرغباتِ للتوقِ للفضولِ للمجهولِ...
لا تفعلي... لا تحاولي... لا تحلمي... ابقي في الجسد في الخمولِ في الوحدةِ... من أينَ؟ إلى أينَ؟...
تنينٌ يتململُ...
أيّامي...
عاصفةٌ تكنسُ كلَّ شيءٍ
أيّتُها المرأةُ... توقفي
أطلقي شموعك في النهرِ... الانتحارُ آتٍ

# أصوات ليل

## -1-

أيُّها الغيم أشعلْ بَرْقَ السماءِ ترَ امرأةً بأصابعَ تقطُرُ دمعاً
ترى ولداً على ظهرهِ حقيبةٌ...
ظلاً مطبُوعاً على درجٍ ...
ترى قوافلَ تُحدِّقُ في فضاءٍ أصفرَ... كم غرنيكا يلزمنا كي نختصر كُلَّ هذا الليل؟
...ليلٌ ماطرٌ... فيها المدنُ تُرعدُ
والدمُ...شاهدٌ و شهيد

## -2-

يتسلقُ الصوتُ جيبَ قميصي
و ينامُ في صدري...
لم يَكُنْ جنوناً... فقط أردتُ أن أصرخَ في سمعِ الضبابِ
لأنذرَ المدينةَ أنْ تصحو
لا أحبُّ أن أرى الشامَ برأسٍ متدلٍّ

كلُّ ما في الأمرِ أنَّ صوتَها سقط مِنّي...
لا شيءَ يتُعبُني...لا النداءاتُ...لا الهمسُ...لا الصمتُ... ولا
حتى الصراخُ...
لا شيء يُتْعِبُني... لا الخيبةُ لا اللهفةُ..
يُتعبني أنَّ الصحراءَ لا تحملُ الصدى

## -3-

لا زمنَ في الصحراءِ...
حينَ تَحْضُرني الكتابةُ
أكتبُ منك... ايُّها الوعلُ البعيدُ...
لا حاجة للتفاصيلِ
الصرخةُ تُمسي كوكباً
و... هديرُ الغضبِ يختصرُ ألفَ ليلٍ
قابيلُ في البراري
أنظرُ إليكِ شام ... صورُ رجالٍ... أطفالٍ... طرقاتٍ ....
أشجارٌ تجرجرُ الطعنات...فيها النهرُ متثاقلٌ
و لا يستطيعْ

## -4-

كأعمى لا أميّزُ الأيامَ... و لا تبدلاتِ الضوءِ
أيُّها الغيمُ أَشعِلْ دمَكَ...

# صهيل

## -1-

صهيلٌ
يسحبني
نحو ظلالي
خطوةً خطوةً
ثم يطيرُ ويرمي بي
في مهبِّ الأسئلةِ

صرخةً داكنةً أغدو
نظرةٌ خرساءُ وظلالٌ تتلفتْ
هكذا يغفو الألمُ مشعلاً ذاكرته
للريحِ

## -2-

تختلطُ الظلالُ بأشجار الصفصافِ

تنزلُ دمعةٌ
نحو النهرِ تركضُ
فمن يؤججُ النارَ والوجعَ
أستديرُ نحو الجدارِ
ورقٌ... صورٌ
ضربُ مخالب
ودمُ اللوحةِ يصهلُ في الفراغِ

## -3-

مضيتُ
استدرتُ
لم أجدْ طريقاً مفتوحاً للرجوعِ
من يؤججِ النارَ
طاعونٌ من الذكرياتِ
ورائي
تغيرتِ اللوحةُ
والطريقُ
تغيرَ الصوتُ... وتغيّرتُ
وما بين وردةِ الذبولِ والظمأ
زمنٌ لا يمكنُ الإشارةُ إليهِ

## -4-

في الصوتِ دمعةٌ
لهذا تُوجِعُني الحياةُ
أخطو في الذاكرة
أصعدُ السُّلمَ
درجةً
درجة
مظلةٌ وعاشقةٌ ومطرْ
مظلةٌ ووحدي
أستديرُ نحو الجدارِ
يشتعلُ برعمُ الرغباتِ
يتثاءبُ
هكذا سريعاً ارتدي جسداً غيرَ جسدي
وصوتاً
فكيف أصبحَ جسدي
بفردةِ حذاءٍ واحدةٍ؟

## -5-

ظلالٌ
دربُ دموعٍ يمضي نحو شارعٍ قد ضاعَ فيَّ

فكيف تلفُّ العزلةُ وجهَهَا
وكيف ألفُّ القلبَ عكسَ عقاربهِ
ذاكرةٌ ملتبسةٌ
وزمنٌ يتنكرُ
الأرقُ قميصي
وأنا في الغياب

## -6-

حينَ يحلُّ الليلُ
أصرخُ
أرتدي جسدي العاصفَ وأزرِّرُ قميصَ الفصولِ
ذكرى امرأةٍ أنا

## -7-

أستيقظُ...
صرخةً داكنةً أغدو
تتلفتُ الظلالُ
امرأةٌ أسندتْ رأسها للجدارِ
ورسمَتْ... ذكرى امرأة

شددتُ الزمنَ من سمائهِ
والمكانَ من جذورهِ
فهوتْ شجرةُ الوقتِ
سقطت الأوراقُ
آه... يا لعاري

أمسكني زمنٌ
هزّني... هزّني
فهوى النصُّ... ولم تبقَ امرأةٌ

أمسكتُ النصَ
تداخلتْ حروفُهُ... وأجهشَ بالعويلِ.

دمشق
هجَّ رجالُها
يا لعاري

انفرط العقدُ
مضى النصُّ نحوَ البعيدِ
دوّتِ السخريةُ
مشيرةً إلى مسخٍ يمشي نحو هاويةٍ أخرى.

## عشبة النافذة

ألتقطُ الزّمنَ لكنّه يتسللُ عشبةً على نافذتي
ألتقطُ صورتك وأمضي... أتكئُ على الجدار
علّني لا أسقط
أقرأُ لك تقرأ لي
تلملم قلقكَ باقةُ صبّارٍ فيهوي طائرٌ
على زجاج أمكنتنا
يهوي طائرٌ إلى بركة ماءٍ
يتخبطُ... نتخبطُ... يلوي
أصمتُ طويلاً أرتدُّ إلى روحي
لماذا سقطَ الطائرُ؟
لماذا خبطَ بأجنحتهِ زجاجَ شرفَتنا
تماماً حيثُ كُنّا نجلسُ

وهوى...
الموتُ يقرعُ نافذتنا ويسحب البساط
من تحت أقدامنا...
يسحبُ العناقَ... وقمرَ
الفتنةِ البعيد
نقفُ وجوهنا إلى جدرانٍ بيضاءَ
صفراءَ... رماديّة هكذا أصبحنا
نقفُ أمامَ جدرانٍ لا نوافذَ لها

نلتقطُ
صمتَنا...
أجنحتَنا...

جرحُ نوافذِي
أرصفتي
ومقاعدي
سيرة وجد
لطائرٍ حزين
فجأةً
لم تحملْهُ أجنحتهُ
لم يرتشفْ قهوتَهُ

ترك الأغصان معلقةً في الهواء
وهوى
نجرجرُ أقدامَنا لا نرتشفُ قهوتنا
ولا نخيطُ ثوباً لأيّامنا القادمة
لماذا بعدَ ذلك أدار كلُّ واحدٍ منّا
وجهَهُ للجدارِ

## مات حصاني

هل غاضَ ماءُ الروحِ
هل فارَ دمعُ العين؟!
فتساقطَ ورقُ الشجرِ
لتلهو به الريحُ
ماتَ حصاني...
لهذا هيّأتُ كلّ الحطبِ
أشعلتُ الأوراقَ
حرفاً حرفاً
رميتها وإذا بالنهرِ طافياً بالرمادِ
والمدينةُ طافحةٌ بالقبورِ
جرّتني الريحُ
وأخذتني العاصفةُ

فانكسرَ جسرٌ بيننا كما يُكسَرُ الجوزُ
ناولتُ الريحَ حكايتي
وإذا بالريح لا تكتبُ
فكيفَ أتاني أنينُ المخاضِ
في ليلٍ كلّه ليل...
يتدلى حزني زهرةَ دمعٍ... شوكاً على العتباتِ... طيوراً
تهجُّ

تدرّبنا على الأنحناءِ
فاحدودبَ الكونُ
لو شجرٌ يغطينا، أو عاصفةٌ تأخذنا
قدماي تتوهان وأغنية الأفول تنتشر

مات حصاني
اضطربَ الوقتُ والأشجارُ
انفرطَ العقدُ خرزةً خرزة
فكيف أدخلُ
خيمة الجمرِ...
ثلجٌ وكوانينُ
ثلجٌ ودروبٌ بيضاءُ
هكذا أرتحلُ

فيأتيني المخاضُ في ليل كلّه ليل
همَسَ عبّادُ الشمسِ في أُذني وانحنى على حزني
فكيفَ تعكّر مائي
دمعي
صوتي

غبارٌ أنتَ...
لفحتك الريحُ في وجهي
فاغبرّت روحي
أرصفَتي... عنكَبَتْ فترنحتُ بالبكاءِ
ولم تعدِ الشامُ سوى أجراسٍ
تحركها الريحُ
وأغصان الزمانِ...
أغمضُ عينيَّ

أوغلُ في نفسي
تحت خيمة المشتهى
أمضي لسكّرالعنبِ... لنارٍ ومطرٍ وغيم
أرى نملَ البراري يدحرجُ شمسَكَ
فتسوّدُ نهاراتُنا

لم يبقَ متّسعٌ لحبلٍ سريّ بيننا
فكيفَ أدلُّك على نوافذي؟!

الشمسُ وحدها تتسللُ وضوءُ القمرِ
هديل ستأتي
تحنُّ لرائحةِ امرأةٍ
انطوتْ مثلَ كوكبِ الغياب

# اللوحـــة

اقتربي... قال...
إنّه الهودج يموج مع موسيقى خطواتنا
اقتربي أكثر...
هكذا يترحل الحبّ تاركاً وجعاً وكذبةً...
يا إلهي... كيف أشفى!
قال ظلٌّ: أصفى من الماء أنتِ
ما بيننا أسفار
زمانٌ يتوكأ على عكازٍ ويمضي
زمانٌ تكسرَتْ أغصانُه
قل لي: كيفَ ندوزنُ صوتَ المطر وحفيفَ الشجرِ؟
هسيسَ الحطبِ والعواصفِ والزمهرير...
كيفَ نقبِضُ على حفيفِ الروحِ؟

وتسرحُ قُطعاني تحتَ خيمتكَ...
أغمضُ عينيَّ أتقلّبُ بدمٍ مغتلٍ
فكيفَ ندخلُ الغواياتِ معاً؟؟
نمضي نحو كرسيٍّ فارغٍ
وضوءٍ يخفت
ما الذي نفعله؟
ثيابٌ مرميةٌ على كرسيٍّ
ورائحة
وسريرٍ يوحّدُ الظلالَ
الضوءُ حزينٌ... والخطواتُ تستعجلُ الرحيلَ
الستارةُ وفنجانُ الشاي
وطاولةُ كتبٍ وأوراقٍ دائماً في الانتظار
لا أصدّقُ لكنّ خُطواتي
شالي وفساتيني كلّها تمضي لغطاءٍ يلفُّنا
وخيمةٍ وشوشتنا كلَّ أسرارِها...
نمضي حتى آخرِ الأقمارِ والأعمارِ
وحين نصحو نتكئُ على الجدارِ... الساعةِ... الزمنِ
أنت لتغضنِ روحِكَ

وأنا لسفر الدّخول...

يأكلكَ القلقُ... يأكلُ قميصَكَ... نظراتِكَ
فتتوهُ جدرانُكَ
وتديرُ امرأةٌ في اللوحةِ ظهرَها
تُسقطُكَ في الغوايةِ
كلماتٌ تتناحرُ... كلمات... كلمات
سأتركُ البابَ مفتوحاً
مرّي... يا ماءَ العينِ وظلّها
من هنا مرّت لحظةٌ
فلنسرق ألقَها
أسكبُ الماءَ على الوجعِ وتسكبُ
هل أسير هل أغلق الباب
ما الذي يأخذ أقدامنا لندحرج اللحظات
كدمعِ العينِ
أمضي نهاري وليلي أسألُ الأغنياتِ عنك...
حبّاتُ رمّانٍ لا تكفُّ عن السقوطِ روحي
والخرابُ منتشرٌ
أوُلدنا غرباءَ ونمشي غرباءَ
نستذكرُ ما حفظناهُ «فعلى أي جانبيك تميل؟»...

# غبار

سأترك نوافذي مفتوحةً للغبار
وأترك بابي مفتوحاً للصوص والمتسولين
سأترك الشوارع لأقدام التائهين والمشردين
والمساجد للمقطوعين
أترك الأسئلة تمرُّ دونَ أجوبةٍ
العاشقُ لن أحمِّله سلةَ القُبلاتِ
ولا تفاحَ المعنى
أبوابي مشرعةٌ لرياحِ الخماسين
وأيامي لزَبَدِ البحرِ
أقفُ بلا ذهولٍ
ودونَ أي اكتراثٍ أغفو
أيامٌ شهورٌ سنواتٌ
ساعاتٌ دقائقُ ثوانٍ

الوقت يركلنا تاركاً غيمةَ حُزنٍ شتوية
كلما أيقظتني الذكرياتُ أضحكُ
مرّت أوقاتٌ
تتابعتِ الصورُ في مرايا مكسرة...
حاولتُ أن أستعيد لحظةً حقيقيةً
حاولتُ أن أضمَّ كلَّ انكساراتِ المرايا
لم أشعرْ بزجاجها يجرّحني
لم أشعرْ
لذا سأفتحُ نوافذي للغبارِ
أفتح أبوابي لصدأ يغلف صوراً أحببتها
ارتحلَ الوقتُ
ارتحلتِ الوجوهُ
توقفتْ عقاربُ الساعةِ
لذا أترك أبوابي ونوافذي مفتوحةً للرياح

# أعتذر

ما منْ أحدٍ
يستطيعُ أن يلمَّ الأحلام التي أخذها الخريف
الطائر وحده ينفض جناحيه
ووحدي أغني لأيامي الهاربة
أعتذرُ للزمن الذي أنساني حليب أمي
ولأنّني أرى الجديدَ هو الأوّل أعتذرُ للحبّ القديم
أيتها الحروب التي تحيط بنا
اغفري لي
لأنّني أطفئ الأخبار وأمضي إلى النوم
أعتذر لطفلي الذي أبعدني العمل عنه مدناً...
طرقاً... وساعاتِ نومٍ معدودةً
ولأنَّ الزمنَ بلا رجولةٍ
وحدي أقصُّ ضفائرَ الشجرِ

أرمي الأوراقَ خريفاً
أحملُ الصخرةَ درجةً درجةً...
يحدودب الزمن وينهرني
فأسقطُ في خريفٍ طاعنٍ
ولأنني عابرةُ سبيلِ
أكتبُ وجعي...

تتطايرُ خصلات شعري
تتطايرُ الأيامُ
ورقةً صفراءَ... خضراءَ... رماديةً
أسندُ رأسي بين يدي
صورٌ تأتي
عواصفُ
وجوهٌ
يركضُ الوقتُ بين سككٍ مكرورةٍ
متشابهةٍ
كأنَّها الموتُ
أو كأنني...
أضحكُ... أركضُ... أهذي... أبكي... ولا أستريح
أمشي أقفُ أنامُ أصحو ولا أصحو

فلمنْ أعتذر
أعتذرُ لطفلي الذي أخذني العملُ منه
أعتذرُ للنصِّ الموجوعِ بي
أعتذرُ للحبِّ والشغفِ والذكرى
أعتذرُ للكتابِ المغطى بالغبارِ
للأيامِ
وللأحلامِ الموءودةِ

أعتذرُ لكلِّ المنادين من الهاويةِ
أعتذرُ لليلٍ بلا أغنيةٍ
وقلبٍ بلا عشاق... ولصوتِ فيروز
وقصائدِ طلال حيدر
«وحدن بيبقوا متل زهر البيلسان»
أعتذرُ للمرآةِ غطاها التعبُ
للصباحِ أقضيهِ على طرقاتِ الضبابِ والغبارِ
والرطوبةِ

أعتذرُ لطفلي
أعتذرُ لأمِّي التي أبعدتني الغربةُ عنها
أعتذرُ من الظلالِ التي تلاحقني ولا أراها
أركضُ أهرولُ أمشي أتدحرجُ أشهقُ أهمسُ أصرخُ

أبكي أضحكُ أكتبُ أمحو
وأعرفُ تماماً أنّ الوقتَ يضيقُ
والروحُ أيضاً تضيق
ولا أفتحُ النافذة...

## الطريق بلوى

الطريق بلوى، لهذا ابتليت بأنامل أيقظت كل عصافيري، نبشت كلّ
جرار الحزن... بعثرت أوراقي
أي طريق يلمُّني ويبعثرني، ويأخذني إلى صدره، يهزُّ الشجر والثمر
لأكون
أنا المرأة المثقلة بالذكريات
المشتعلة بالقبلات
المترفة بالتعب... هنا وهناك
درب إليك مشتعل بالبوح والكشف والنخل
دخل في الزحمة
لوحات ولوحات تملأ المكان والجدران
صبايا يتناءونَ

وحدها ترصد المشهد، ووحده هذا المرتدي قميص العبث يدحرج العدسات في الزوايا والدروب، بين سيقان شمعات هن بين الضوء والانطفاء

مضت ترصده وحده... تتأمل نظراته وتسأل نفسها: ما الذي يشعر به في تلك اللحظة بالذات، أمام نساء اجتمعن على نفس المنصة؟

كان يلملم نظراته، يتوارى، يَخْمَرُّ قليلاً، يشربُ نخبَ عبثٍ طاريٍ وسريع، مثل أيّ محطةٍ عابرة، أو فنجان قهوة في استراحة الطريق.

أسئلة غبية راودتني، وكلمات ترددت على مسامعي: «أنت غير سأبوس أصابعك».

اقتربَتْ منهُ... ضحكا بنظرات رغبة عارمة، لملما نفسيهما وتشاغلا بالمشهد.

الطريق بلوى، لهذا أمسح دمع عيني بكمي، وأدخل في شراييننك حبة بن، أو بوسة على عجل... أعابثك، أمزح وألعب لأقول: علاقتنا مزحة مثل وجودنا تماماً

لا مكان ولا خيمة، ولا ظل شجرة يؤوينا، وحده الطريق يلملم جمرنا، وينثر رمادنا.

الطريق بلوى

لي أشيائي وهمومي وباب جمر

لي أوراقي وعواصفي
لي وحدتي وجنوني، لهذا أعابث الأيام
أدخل لعبة الأوراق والأنامل والموسيقى

عشق متأرجح، وعيون تائهة
شوارع بلا أرصفة وبلا مارة
وحدنا العابرون

ووحده يرصد العيون التي تتوارى وراء نظارة، أو خلف خصلات شعر
«عيونك... أوه... اتركيني أعين عليك»
ندخل التيه والزوغان والعشق العابر
كما نحن تماماً عابرون
نمازح الوقت والطريق ولا ندري أننا وجهٌ لوجهٍ أمامَ لوحةِ الغياب
الطريقُ وحده لا يثرثر
أزحزحُ الأشياءَ جانباً، أفتح كل النوافذ
يتسع التيه
أتوه وأنا العارفة أن الطريقَ لا تدوم

طريق وصحراء غيم يبلل العطش، نخل ممتد... ما أشهى الرطب

وما أحلى أنامل التيه

نظرات عابرة تسكر بصوت فيروز «بالقهوة البحرية طلع بعيني... وتشرب من فنجانك واشرب من عينيك»... ازداد دخولاً في التيه.

منذ اللحظة الأولى... الخطوة الأولى قالت جملتها «لا تستهن أبداً بعصفورة الشوك»

نظر بعيداً وقال: «يا حنونتي».

الطريق بلوى

ندخل في زحام دبي

ندخل في الأكمام والخلايا

وحدها مركبة التيه تهتز... تتمايل... تصحو... وتدوخ

تتبعثر الأشياء ورقة ورقة

أوراق وأوراق

امرأة تحكي وتهمس... تركض... تتوقف... تتأمل... تتراجع... تجن ولا تندم

فيا بلوى الطريق

يا صوت كمان يوقظ الصحو والنوم والغياب والحضور

يوقظ ألف حصان فيشتعل الصوت بالصهيل... والبكاء

أمضي على هودج الوقت

أدخل الصحراء على إيقاع كلماتك «يا حنونتي»

أدوخ ماضية نحو أشلاء وقت ...

أوراق يابسة تطير في مهب الأسئلة

تدحرجني الأيام
ألتقط أنفاسي وأقف على جدار الوقت

اتذكر «زوربا» والسانتوري
أتذكر روحك
ذاك البيت الذي قرأت فيه الكتب على ضوء الشمع، وذاك الجدار
الذي أسندت رأسي عليه لأبكيك زوربا
كان الزمن مظلماً... وكانت الشموع تضيء الحروف والكلمات
كانت دمشق ملتحية بالسخام
يومها كنت قطة دافئة بالحنان
في ذاك البيت كنت وطفلتيّ إيفا ولاما
وكان حسان شاعرُ الطرقات والصبايا والرفاق الذين غيبتهم الأقبية
لو تدري أيها الطريق كم أعدتني لذاك الزوربا
لو تدري
كيف هو كتف زوربا

عزف زوربا
الطريق بلوى
الحب بلوى، وما أحلى فنجان شاي ونعناع
وصوت كمان يدخل عتبات الوقت ولا يصل

## حالات

### -1-

أبكي عليكِ شام
أَصْهُلُ
أركضُ... أركضُ في كلّ الجهاتِ
مدينةٌ... مدينةٌ محاصرةٌ أنا

### -2-

يأتي الشتاءُ
التعبُ ينتعلُ حذاءَهُ
ويغِلُّ في شقوقِ الأرضِ

### -3-

لقد حَفَرْنا أسماءَنا
ولم تَعُدْ رمالُ الشواطئ حافلةً

ما الذي يبقى منّا
أنرجعُ؟!
أنكتبُ؟!
معطفُ الوقتِ معلّقٌ في عَتمةٍ وغبار
ربّما تفردُ جدائلُ الصبيةِ
ربّما يأخذها إلى البحرِ ويرجعُ ظمآن

## -4-

أتقلبُ جنباً على جنب
ظهراً على ظهرْ
حزناً على حزنْ
أُتمتمُ أُدمدمُ
أضربُ الحائطَ
فيسقطُ العنكبوتُ
وتغزِلُ خيوطُهُ حكايةَ
أغصاني

## -5-

ضبابٌ كثيفٌ يفصلني عنك
أشّرد... تداهمني ظلالُ أشجارٍ
أيّامٍ...

أُخبئُ رأسي بين كفيَّ
وأغيب

## -6-

أدخلُ جحيمَك «باربوس»
نستبدل الأدوارَ
أنظرُ من ثقبِ البابِ
أرى جنوناً جنوناً
أسحبُ الشيطانَ من قرنيهِ...
أسحب المدنَ من ضفائرها
وأدخلُ إدمانَ الذهولْ

## -7-

من قاعِ الهاويةِ
إلى السماءِ السابعةِ
أخذتني
عانقتَ خصلاتِ العاصفةِ
دوّختني
ارتطمتُ حلماً
يا لها من قبلة

## -8-

لقد مرّ غزالٌ من هنا
أيقظَ الشامَ
أيقظَ عصافيرَ الدّهشةِ
ومضى... ومضى تاركاً المدنَ مزدحمةً بالفراغْ

## -9-

ما زالتِ الأوراقُ بيضاءَ
لتتسكعَ فوقَها
نرسمُ هلالاً
عيدانُ الرغبةِ
تحرّكُ أوتارَ الكمانِ
بشفاهيَ المرتجفةَ
أسقطُ في جحيمكْ

## -10-

أتيتُكَ
عاصفةُ وحدتك
ضمّت أغصانَ لهفتي

ندّت أزاهيرُ الرّغبةِ عطشى
انزلقتْ نوافيرُ أصابعي
تمسّدُ سهولَكَ
وتدخلُ في معابرِ الضبابِ

## -11-

غوايةُ الكلام
أم خيبةُ الصمت
هكذا انزوتِ المرأةُ مخبئةً رأسها
خلفَ الجرارِ
تأوهتْ جرةٌ
جرتان
جرار
وباااحت الأخيرةُ بُخمرها

## -12-

حين كنت طفلة كان القمر أحلى
كان فمي توتاً وخداي تفّاحاً

حين كنت طفلةً
الورد الجوري لأمّي
الياسمين لمعلّمتي
حين كنت طفلةً
وقفت وراء السياج وحلمت بأن أكبر
مثل هذا الحصان

# منفى

احملْ خرجَ غربتك خيمتك
وأَحصِ منافيك
أتدثرُ بثوب الألم
فيمدّ الحرّ لسانه صُباراً
الفراغ يلهث
النص يعوي
تتكسر أغصانٌ
يلوب كتفُ العناق
البحر متوحدٌ وحزين والعشب لا يصهل
لحصانٍ ينأى بمهرةٍ أخرى
ونخبٍ جديد

أعتلي الدهشة

أبدِّدُ الأيام بسخاء
أقرأ نصوص رجلٍ ضجرٍ وغريب
يعوي
يرهص بالجنون
يضرب الجدار
وبخطوةٍ واحدةٍ يمضي إلى حتفه
حين حتفك لم أمت
أرتديت الضحكة... فتحت غابتي لوجه قمر هناك
تسلل...
يلوب عن قبلة مشتهاة... وكنت غير مكترثة بالضوء... أضحك...
لم أمت.

# قمصان الليل

أتلمسُ قمصانَ الليلِ في رأسي
وما حدثَ ذاتَ نهارٍ
حين هبت الريحُ على أرفف مكتبتي...

استيقظت الدروب
آخذة قدميَّ إلى غرفةِ العسل
ولأنَّ الحبَّ لا يمشي بقدم واحدة
والدرب تنوشه الكلاب
لا بد من معجزة كي يطلع القمر
فانتظري...
أمرٌ كالحريق والصاعقة والجنون
في الأيام والغيوم الرماد

في اللحظة النشوة الساعة الأبد
ها هو العصف ينشب أنيابه
يضرب بمراكبه الصخور ويحطّ عند اليابسة
بعد شهر سنة أو دهر
انتظري
كوكب الألم يحطّ على كتفي
وكوكب الجنون يحطّ على القلب والطعنة تنفذ إلى كبد الأفق
عارية الطعنة مثل قلبي

ولأننا لسنا وحدنا على الأرض
ها هي اللحظة وراء الساعة والقبلة
والرقصة الصاخبة
ها هو المغامر وظلال الورق
ها هي الغيوم أحصنة
ها هي التفاحة الشفق
لقد نفدت كؤوسُ خمرِنا
فلتُشْرِعِ الجِمالُ أعناقَها

فرسانُ الهواء ينشبون أظافرهم في كلّ شيء ينسلون في عتمة الوجع
ماذا تريد أيها الفارس؟؟

لا شيء... دفئاً ونبع ماء...
أريدُكِ...
...
أنا براري الوجع... أنهار الغواية
بنفسجي خلايا عشقٍ... نبعٌ فوّار
أخمدُ النارَ والفوران
ولا أشفى... فأيّ ماء؟!
الزّمَنُ مرارةُ الحلقِ
والقصائدُ لا تكتُبُها الريحُ
يا لهُ فضاءُ الخيبةِ
يا لهُ القمرُ الأبله
والقلب بلا شرفات
والحقول بعواء الأنين
انتحبْ أيها القمر المُضَيع
انتحبْ بدموعٍ خرساء
انتحبْ طويلاً طويلاً
أما أنا، فسأطوي صفحةَ الريح
إنّي أسمعُ نباحَ الغياب

# ريشة

## -1-

قبل أن أبلغَ الحافة
قالَ صمتَهُ لأغيب
نفسُها الحياة
بانقباض تحسّ
ظلاً خافتاً تمضي

## -2-

هذا كلّ ما لدي
صيحة دهشتي
وكلماتي المنتظرة على صف طويل من الشوق.
ريشة... كي أعزفَ على الريح

## -3-

للزمن أصابع مخشوشبة
ونبع ماء بعيد
دعي الأيام تدور كالطواحين
ودعي الوقت
يمضي بشخيره العالي

أنا اليتيمة منذ طفولة بعيدة...
منذ انحسار الغيم غريبة
كيف لي إذاً أن أبتكر الموج؟

## -4-

الطفلة
بهندام اليتم
تبكي
لا نوم
لا أب
لا أم
لا وطن
قصة رعب طويلة أسدلوا الستار على حكاية أخرى

## -5-

بمجذافٍ وحيدٍ أجذّف
أهمسُ في أذنِ الريحِ...
في يومٍ كهذا ماذا يعني الحب... وماذا تعني الحرب؟
يومٌ كثيرُ الرياحِ
ولا أزال أنتظرُ القطارَ...
... آه
لقد تغيرت ملامحي...

## -6-

أن يبقى باب وطنك مسدوداً
أن تتحوّل البلاد إلى بركة دم
أن يلطخ تاريخ بأكمله
معناه أن تحترف التسكع والضياع... أن تدخل الرمل... وتسابق الريح
معناه أن تعتاد السراب
معناه أكثر أن تكون مجنوناً

## -7-

دمشق التي غادرتها

لم تعد صبية الياسمين... ولا عروس الحكايات
إنها الآن في غرفة إنعاش دموي
لهذا أضع ذاكرتي
في سلال العنب
وجرار الانتظار
فمن الصعب أن أنسى أنا

## -8-

لا ينظر الماء إلى الوراء
في طريق الأزل يمضي
إلى حيث لا تراه العيون
يرتحل

ومثل أغاني الغجر يسكنني الحنين
حنين طويل كنهر طفولتي

فما بالها الشام لا توقظ صباحاتها
ما بالها مسكونة بالذهول...
وعلى غير عادتها تترك نهرها يمضي وحيداً... وحيداً على غير عادتها...

وعادته أيضاً

## -9-

قبل أن أبلغَ الحافة
قالَ صمتَهُ لأغيب
نفسُها الحياة
بانقباض تحسُّ
ظلاً خافتاً تمضي

## -10-

هذا كلّ ما لدي
صيحة دهشتي
وكلماتي المنتظرة على صف طويل من الشوق.
ريشة... كي أعزفَ على الريح

## -11-

في هذا الصباح أقف على حافة الكون
أنظر إلى الوادي البعيد أهيم بموسيقى الشجر والريح
أسأل، كيف سيصعد هذا الوادي إلى حضني؟!

## -12-

في شرفة الغربة
أشرب القهوة
أقلب الفنجان
كي أبصر معجزة تأخذ بيدي إليك

## -13-

النهر الذي يخفي نفسه تحت الحفيف
لا يبكي
يضربُ رأسَهُ بالصخورِ
يرسمُ طريقاً

النهرُ يتابعُ مجراه
في أي اتجاهٍ يسيرُ يبدو أنَّه لا يعرف

## -14-

مكتنزة بالحزن أقف في هذا الصباح
أعشابي ذاهلة

أسأل من سيغسل العصافير
ومن سينفض عن روحي الغبار
من سيبعد الموت الباكر عن كل هذي العيون
إن كنت حبيبي وحزيناً فأنا أيضاً
مزوّدة روحي

سلاماً لكل الفراشات والشجر المائل نحو الموت
أيها الوادي أنتظرك على حافة البرق
فأنا مفعمة بالحزن...

## -15-

أسندت الأم ركبتيها على الأرض
بسطت شالها وجمعت التراب الملطخ بالدم
عبرت الأم الحدودَ
لا أريد أن يبقى شيء هنا

## -16-

أنا ما نسيت
رائحتك أزهرت كحديقة أمي

إسأل قصيدتي
تسرّ لك كلّ ما لم أستطع أن أحكيه

## -17-

بين ملح البحر وملح دموعي
أقيم حواراً طويلاً
تاريخي لحظتان واحدة معك واللحظات الأخرى المتشابهة
فما أطول يتمي
أمنيتي أصغر من فاصلة...
فرح صغير يضيء روحي

# مدانة بحزني أنا!

إلى هذه الدرجة أنت حزينة؟!!
مدانة بحزني أنا!...
أسئلة تصل بخفتها لوزن الفراشة
أخفي الحكايات
أخبئها في صرةِ الأيامِ مرةً... ومرةً أبوحُ بها للريحِ
أنظر من نافذةِ الاستحالةِ...
أناملي صافنة بأعشابِ الوهمِ
وأنا أتسلق البعيد...
نسيَ أنني من سلالة الأنهار وحواف الجنون...
شردت بعيداً نظرت حولي
بيت دافئ
أطفال جميلون

أعمار وأعمار
شجرة رمان نحيلة أنا...
كتب وموسيقى
وأرفف من الذكريات
خزائن من العشق وبئر من دلاء وسيقان... ورغبات غسلت أناملها
غسلت وجه الأيام في طشت أزرق...
أمشي معهُ أراقصُ الحلمَ
أعانقهُ: «دافئةٌ أنتِ... سأفردُ لجدائلكِ أرجوحتي»، يقول
ماذا أريد ولماذا أنا حزينة...
لماذا وأنا زوجة الشعر
أمرأته وصديقة دمه
بكل حلاوات تين البعل... يشدني...
ويذيّل لي القصائد بعصفورٍ بردان
عصفورٌ عاشقٌ
أمضي إليه... فيرسم لي كوخاً بعيداً
يشعلُ الحطبَ
يشوي الكستناءَ
ويغني للشيخ إمام

ينثرُ حباتِ قلبهِ فتنتشرُ بيادرُ القمحِ
ماذا أريد؟؟
وهذا العاشق يحملني على كتفِ الحكايات ويطلعُ بي الدرجَ
يقشرُ السفرجلَ... يفردُ تواقيعَهُ
عصافيراً
ويغني «بكوخنا يابني ورا الكوخ العتيق»

وقبل أن يمضي كلّ واحدٍ فينا إلى بيتهِ نرمي مناديلَنا على سكةِ قطارٍ
فتثمرُ الحكايةُ
وتمضي...
تخاصرُ الريحَ والرائحةَ
نقطفُ ثمارَ الوحامِ الحامضِ
أقطفُ غصصَ الدهشةِ
يمضي...
يلفُّ على أقدامهِ الشوارعَ والأسواقَ
يمضي صديقُ دمي إلى سوقٍ بعيدٍ... يصلُ إلى مقامِ ابن عربي في
سوقِ الجمعةِ فيدورُ فرحاً وعشقاً مع الدراويش
ويأتي
يأتي بالسفرجلِ محملاً... لوحامِ الصبيةِ الدهشة

أولُّ ثمرةٍ قشرَها لي في كوخٍ بعيدٍ كانت السفرجلَ
أولُّ شجرةٍ حكى لي عن ثمارها الحالمةِ بالتدحرجِ للأعالي
وأوّلُّ ثمرةٍ نادتها روحي في وحامٍ صعبٍ
غصصٌ... وسفرجلُ
سمّاني بعدها بكثيرٍ من السنواتِ السفرجاء
بحزنِ الصفصافِ أكتبُ
أضعهُ في حصالةِ ابنتي وأحركُ الصوتَ
فتقهقهُ غصصُ العتمةِ... ينشرُ ابنُ آوى نباحَهُ في ليلِ غابةٍ بعيدةٍ
تطولُ الحكايةُ... وحلُ دروبٍ بعيدةٍ... ضوءُ ساقيةٍ تئنُ على
خاصرةِ نافذتي... ونباح كلب يحرسُ ورقَ الخريفِ
نباحُ كلب يراني كل يوم... دون أن أرميَ عليهِ التحيةَ
أخافُ أقتراب النُباحِ إليّ
كنت أرمي العظامَ والخبزَ لهُ... وسرعانَ ما أغلقُ بابَ الغابةِ وأعود
إلى غرفتي
مرةً... جاءَنا... مظفرُ النوابِ... برفقةِ شعراءَ ومريدين.
نبحَ الكلبُ فخرجتُ... أشرْتُ إليه بإصبعي على فمي همْس...
هزّ رأسَهُ الكلبُ حياهمُ... ومضوا بعدها إلى فيء وعرائش...
يستنهضون الشعرَ ورائحةَ الشواءِ في بستان هشام... يسرّحون
أعشابَ الدهشةِ...

عودَ الدندنات... تراتيلَ الوجعِ... وأكُفاً على الصدرِ إيقاعَ كربلاء...

وفي مطر ديمة شوى سعدي يوسف اللحم على إيقاع جيكور البعيد... بينما كان سيف الرحبي يستحضر جباله... ويغني لنورسة الجنون بصمت بلاده الأبيد

وجوهٌ... تحتفي بعصافيرِ التوتِ... وحضنِ الشامِ الحنون...

زيزُ السؤالِ يعتلي دهشةَ الوردِ واللون

تدندنُ الأعشابُ ويعلو في البعيد هديرُ طائرةٍ لمسافرين يمموا وجوهَهم نحو غربةٍ أخرى...

يدندنُ سميح شقير... وتغني ربيعة الجلطي امرأةُ الكحل الأسمر والعشق الأمين

«غراب على المدينة... فيا أهلها انتبهوا

ويا شجر البتولا لملم جناحيك واجلس القرفصاء»...

أغاني تطير مع الريح... تحرك الزهر والثمر الذي بان

شلة عشاق ومجانين

تفترشُ العشبَ... وحصيرَ الكلام...

أقلّبُ ألبومي... صفحةً صفحة... سنةً سنة... سنوات

لماذا أنا حزينة إذاً؟!

.....؟

لقد أحرقوها...احرقوها غوطتي ولم يبق زيزان...
بالأمس جاءت حكاية الطفلة ذات القبعة البيضاء... وكانت
أرجوحة الفريد حتمل الصغير تهتز على أغصان الريح
فيما كان دمع جميل يهطل ماضياً إلى الساقية
ألفريد إلى النوم
والنبتة إلى اليباس
ابتعدت نجوى بفستانها القصير
ابتعد جميل... حتى الاحتراق الأخير
ويسألني لماذا كل هذا الحزن؟
راجعة بثوب الأنوثة
متكئة على شجرة التوت العصافير
فيما تمضي الساقيةُ على خاصرةِ نافذتي
ويقفُ كلبٌ على زاويةِ المشهدِ يأكلُ ما رمي إليه...
أطلُّ أنظر إلى الساقية والكلب والزنبق النهري
أتوق إليك... عيني على الساعة ويدي على دقات قلبي
متى تنتهي من الدوام؟
أدوخ بين الكتب وأرفف المكتبة العمر
لوتريامون... والسياب... وخالدة سعيد في عصر السريالية...
أدوخ أكثر مع سيمون دي بوفوار في دروب الحرية

فيضُ صفحاتٍ... تعرجُ سقف غرفتي
أوقدُ الحزن مع الموسيقا...
لياليَ وأنا وطفلتي
نعانقُ البردَ
وننتظرُ... ننتظرُ شاعراً يحملُ سلالَ الغناءِ... يغني حين يعود من معسكرٍ بعيدٍ: غنوا التلامذة الصبح للحرية... وسرعان ما تمرّ الساعات
ليمضي عائداً إلى صحراءٍ بعيدةٍ
أقلبُ ألبومَ الصورِ
أقلّبُ عرسَ المدى... صفحاتٍ... سنينَ
أقطفُ الجوريُّ... تاجاً مرةً... ومرةً أكليلَ عشقٍ على طاولتي
تزغردُ الخالاتُ والجداتُ وصبايا الألقِ
يزغردنَ بينما يقفُ الزنبقُ سكران
وفي صباح العرس...
تتركني أمي حيرة السؤال:
ثريا بيتي... قمري... أوه.... بيت البنات خالٍ...
كن أقماراً يضئن سمائي.
وفي صباحاتِ العرسِ وأيامِها الأولى...
كنتُ في النهاراتِ صبيةَ الضوءِ... وفي الليل

أضجُّ... أخافُ الشجرَ... أتخيله مارداً... أنا التي لم أعتد الغابة مرة...

صوتُ الكلابِ وبناتِ آوى يكسر قلبي

أعود طفلةَ اليتمِ... أدخلُ هلاوسَ الفقدِ

أبكي مثل ممسوسةٍ بالجنونِ...

يأخذني غزالي إلى أرجوحة العرس يهدهدني تحت القمر وأغفو بعد انبلاج الأذان عن الصبح البردان...

وحين تصحو النهارات... أفيق على صوت العصافير... وصياح الديكة... وبوسات الحنين

وصوت فيروز...

أستأنسُ بالساقيةِ والزنابقِ البيضاءِ

وصوتِ خوار البقر

أراقب عصافير تنقد التوتَ... أفردُ جدائلَ الذهبِ... أتسلقُ الشجرَ... مثل الجنياتِ

في النهارِ غجرية الرقصِ... وفي الليل طفلة الخوف... أنا العروسُ الممسوسةُ بالجنِّ

يرتديني اليتمُ... وصوت غراب بعيد...

يأخذني الألبوم إلى رحلة...

نمضي إلى موج البحر... عسل... وشهر بعيد... أدخل البحر وأغني
يسألني: سعيدة أنت ياعروس؟
... نعم... لكنَّ شوقي لأمي وإخوتي...
في مدينةٍ بعيدة.كنتُ
حافيةً على الرملِ... بينما تمضي الأرصفةُ ببسطار عسكري...
وبدلاتٍ مبرقعةٍ... وقد ارتدت عيونَ القنصِ... وحده القمرُ حيران...
أشعل ضفائر الذاكرة
عرفته منذ حلمين وحقيقية
منذ رحلةٍ وسفرجلة
منذُ كتابٍ مسكونٍ بوردِ الرائحة
صرتُ أضعُ كأس الصباح فتحط فراشةٌ على قلبي فيتسع الوضوح
أوقد الحزن... وأنطوي...
أقلّبُ ألبومَ الصورِ
صبيةُ الضفائرِ
حاملةُ الجرار... النبيذ
أمورةٌ أنتِ قال لي... عيوقة... ترندلين الموسيقى
في غرفةِ الصداقاتِ... رتلت فيروز... «أنا الأم الحزينة»... وشدا

فرج بيرقدار عن جلسرخي
وقصَّ وائل السواح عن يوسف النجار... فيما كان حسان يغني لمايا
ويبكي... يغني لدادية فاردا زيتون فلسطين لغجرٍ وعشاق...
يوسف وهالة... أيقونتا أرصفة الحرية
يساكرُ الربَّ... ثم يصحو... أنتِ صديقةُ دمي... ليدا... فتنة المشتهى
صبية الذوبان...
عصفُ الزمهريرِ... وأنشودتي... أنا الجنديُ المحملُ بعلبِ السردين
وقصائدِ سليم بركات
ونزيه أبو عفش
سنواتٌ مرّت... تغيرتِ الصورُ
غابَ الأصدقاءُ... وغبنا
تغير الشاعر وتغيرنا
غربان تتناوأ... بينما نتلفتُ ونهمسُ:
للجدران آذان... للأرصفة عيون... فيما تيار الكهرباء ينطفئُ
غابَ الحالمون
لماذ أنت حزينة؟ يسألني
أعمارٌ على أرصفةِ الوحلِ البعيدِ

هذهِ المرة في الحجرِ الأسود... على خاصرةِ المخيمِ... وفي أتونِ الظلمة و الوحل... ورعاة الغجر...

بائعو المياهِ في طنابرِ الوجعِ

سلكٌ مرميٌّ على الطينِ وحصانٌ ماتَ صعقاً بالكهرباء

مشهد يتسعُ ويخفُّ... خفةَ أرواحنا يُحملُ على أنينِ صوتِ ذاك الشابِ الذي فقدَ للتوِّ حصانَه...

حاراتٌ تضيقُ... أبنيةٌ ترتفعُ... فيما كانت السماءُ تبتعدُ

تبتعد عن زوربا وهو يحتضر...

وكنت ألوذ إلى القراءة... أركن روحي في قبري

وعندما أفيق في الليل... أبحث عن الحلم في عيوني

لماذا أنتِ حزينة؟؟؟؟

بنفسجةٌ أنا... مدانةٌ بحزني...

يا لله... لماذا أنا حزينة...؟؟!

## المؤلفة

فاتن حمودي كاتبة وصحافية سورية، عملت في عدد من الصحف الإماراتية، منها: «الإمارات اليوم» وجريدة «الاتحاد» ومجلة «المنارة». تنشر في القدس العربي، مجلة «نزوى»، «الإمارات الثقافية»، و«جريدة الفنون» الكويت، كما كتبت في التراث الإماراتي.

كتبت سيناريو لـ ١٣ فيلماً وثائقياً عن تاريخ أبوظبي بعنوان «أبوظبي قصة بناء»، و١٣ فيلماً وثائقياً رصدت من خلالها الحركة التشكيلية الإماراتية بعنوان «فنان من الإمارات»، عرضت على قناة أبوظبي.

أعدّت مجموعة من الأفلام الوثائقية، منها: «الفرسان»، «العوادي»، و«عساكم ذخر».

كتبت سيناريو فيلم عن «مهرجان سلطان بن زايد التراثي ٢٠١٥».

صدر لها:

- الباب الحزين - قصص أطفال
- ساداكو وطيور الكراكي «إلينا كوير» (ترجمة)
- الشجرة المعطاء.. قصة للأطفال للكاتب الأميركي شيل سيلفريستين (ترجمة)

## فاتن حمودي

# قهوة الكلام

«قهوة الكلام»، غني جداً بقصائده وصوره وعناوينه يحيلنا إلى مهاد الطفولة الأولى التي عاشتها الشاعرة، وإلى تفتحات الحياة بكل مناحيها، و هو ينضح بالرهافة و الوجدان معاً، وأشير إلى ملمح أساسي من ملامحه الكثيرة حيث يظهر جلياً الجو الشامي، وهي الدمشقية، بمفرداتها وطقوسها الطبيعيّة والبشريّة... ويظهر بإلحاح ذلك الإحساس الفريد بالمكان الأول الذي يكاد يقصي سائر الأماكن والحيوات.

سيف الرحبي

فاتن حمودي، الحاملة شامها كصليب المسيح، وصخرة القديسين، ومحمل الحلاج الفلسطيني، وهي... هي التي تحمل الجرح الأعظم والأقسى في التاريخ، لأنه صليب شعب وبلد بكواكبه... شامها الأحلى المحلّقة في مدائن الكون.
فاتن حمودي، الدمع دائماً أصدق من كل كلام. بدمع الورد أهدهد، نهدهد، لك على شعر بذوب الروح، وقهوة الكلام... في شام... علّة أرواح لا تشفى.

حسان عزت

ISBN 978-9953-21-615-7
9 789953 216157 >

الكوكب
رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS